

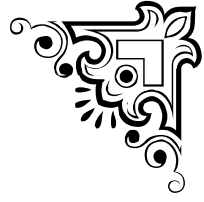
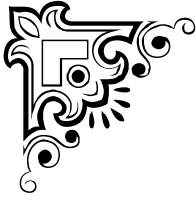
حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ : أَفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ

جَمْعٌ وَتَرْتِيبٌ

مِنْ خُطَبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ:

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلْمَانَ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى



الْخُطْبَةُ الْأُولَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

فَالتَّوْحِيدُ أَسَاسُ دِينِنَا، وَهُوَ مَبْنَى عَقِيدَتِنَا، وَنَحْنُ أَحْوَجُ النَّاسِ إِلَى أَنْ
نَتَعَلَّمَهُ، وَإِلَى أَنْ نَتَدَارَسَهُ، وَأَنْ نُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ، وَأَنْ نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ. (*)

التَّوْحِيدُ - عِبَادَةُ اللَّهِ -: مَصْدَرٌ وَحْدٌ يُوَحِّدُ تَوْحِيدًا، أَي: جَعَلَهُ وَاحِدًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى: «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَى كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ١٥ مِنْ

وَسُمِّيَ دِينَ الْإِسْلَامِ تَوْحِيدًا؛ لِأَنَّ مَبْنَاهُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ فِي مُلْكِهِ وَأَفْعَالِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ لَا نَظِيرَ لَهُ، وَاحِدٌ فِي إِلَهِيَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ لَا نِدَّ لَهُ. إِلَى هَذِهِ الْأَنْوَاعِ يَنْقَسِمُ تَوْحِيدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهِيَ مُتَلَازِمَةٌ.

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْمُلْكِ: وَهُوَ الْإِفْرَادُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكُهُ، وَخَالِقُهُ، وَرَازِقُهُ، وَأَنَّ الْمُحْيِيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيَنْفَعُ وَيَضُرُّ، وَيَتَفَرَّدُ بِاجَابَةِ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْإِضْطِرَارِ.

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُفِرُّونَ بِهَذَا النَّوعِ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (١)، وَعَطَاءٍ (٢)، وَالضَّحَّاكِ (٣)

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ»: ٢/ ٩٥٣ وَ ٩٥٤، رَقْمَ (١٨٤٩)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»: ١٣/ ٧٧ وَ ٧٨، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»: ٧/ ٢٢٠٧ وَ ٩/ ٣٠٧٩، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ لغيره، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ الْآيَةَ، قَالَ: «مِنْ إِيْمَانِهِمْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ، وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ، وَمَنْ خَلَقَ الْجِبَالَ؟ قَالُوا: اللَّهُ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ».

(٢) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ كَمَا فِي التَّفْسِيرِ مِنْ «السَّنَنِ»: ٥/ ٤١١ وَ ٤١٢، رَقْمَ (١١٤٦)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»: ١٣/ ٧٨، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ عَطَاءٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، قَالَ: «كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ رَبَّهُمْ وَهُوَ خَالِقُهُمْ وَهُوَ رَازِقُهُمْ وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ يُشْرِكُونَ».

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»: ١٣/ ٧٨، مِنْ طَرِيقِ هُشَيْمٍ، عَنْ جُوَيْرِيٍّ، عَنْ الضَّحَّاكِ، قَالَ: «كَانُوا يُشْرِكُونَ بِهِ فِي تَلْبِيَّتِهِمْ».

وَنَحْوِهِمْ^(١): «أَنَّهُ تَبَيَّنَ أَنَّ الْكُفَّارَ يَعْرِفُونَ اللَّهَ وَيَعْرِفُونَ رَبُّوْبَيْتَهُ وَمُلْكَهُ وَقَهْرَهُ، وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ يَعْبُدُونَهُ وَيُخْلِصُونَ لَهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْعِبَادَاتِ: كَالْحَجِّ، وَالصَّدَقَةِ، وَالذَّبْحِ، وَالنَّذْرِ، وَالِدُّعَاءِ وَقَتِ الْإِضْطِرَارِ؛ فَكَانُوا يُخْلِصُونَ وَقَتِ الْإِضْطِرَارِ، وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ الْعِبَادَةَ الْخَالِصَةَ إِذَا اضْطُرُّوا، فَإِذَا كَشَفَ عَنْهُمْ الضَّرَّ؛ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غَيْرُهُ».

النَّبِيُّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَقُولُوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ تَعْنِي: صَرَفَ جَمِيعِ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحْدَهُ.

فَهُمُ الْكُفَّارُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»!!

فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: يَعْنِي: لَا حَاكِمَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ النِّزَاعَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَاكِمِيَّةِ - كَمَا يَقُولُ الْقُطَيْبُونَ -!!

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: لَا مُبْدِعَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا قَالُوهُ!!

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: ٤ / ٤٠ إلى ابن المنذر أيضا.

(١) وهو أيضا قول مجاهد وعكرمة وقتادة وعامر الشعبي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم - رحمهم الله -.

وَهَذَا كُلُّهُ أَنْحِرَافٌ عَنِ الْجَادَّةِ فِي فَهْمِ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَتَرْتَبَ عَلَيْهِ
ضَلَالٌ مُبِينٌ (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضِرَةُ الثَّانِيَّةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ

مَعْنَى الْعِبَادَةِ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ إِصْلَاحَ الْعَقِيدَةِ هُوَ وَظِيفَةُ الْمُرْسَلِينَ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ - فِي التَّشْرِيحِ وَمَا حَوْلَهُ - إِنَّمَا يَعُودُ فِي النِّهَايَةِ إِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ حَتَّى يَصِيرَ الْمَرْءُ عَابِدًا لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَاطِنًا وَظَاهِرًا، حَالًا وَفِعَالًا، نُطْقًا وَقَوْلًا؛ حَتَّى يَصِيرَ عَابِدًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيمَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُّ. (*)

فَالْعِبَادَةُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

إِذَنْ؛ الْحَيَاةُ كُلُّهَا عِبَادَةٌ، كُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ؛ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.. كُلُّ ذَلِكَ هُوَ الْعِبَادَةُ.

أَمَرْنَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ نَصْرِفَ ذَلِكَ لَهُ وَحْدَهُ.

إِذَنْ؛ تَنْصَرِفُ الْحَيَاةُ بِجَمِيعِ نَشَاطَاتِهَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْكَائِنِ الْإِنْسَانِيِّ مِنَ الظَّاهِرِ وَبَاطِنِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، وَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِذَلِكَ؛ فَلَهُ الْكَمَالُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ» - الْجُمُعَةَ ٢٣ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٢هـ / ٢١ -

خَلَقَ وَحْدَهُ، لَمْ يُشَارِكْهُ أَحَدٌ فِي الْخَلْقِ، وَيَرْزُقُ وَحْدَهُ، لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي
الرِّزْقِ، وَيُدَبِّرُ الْأَمْرَ وَحْدَهُ، لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي التَّدْبِيرِ؛ إِذَنْ، فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ
لِصَرْفِ الْعِبَادَةِ لَوَجْهِهِ وَحْدَهُ، وَصَرْفِهَا لِغَيْرِهِ أَظْلَمُ الظُّلْمِ.
فَأَظْلَمُ الظُّلْمِ: الشَّرْكَ، صَرْفُ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ.
فَالْمُشْرِكُ أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ، وَالشَّرْكَ هُوَ أَظْلَمُ ظُلْمٍ كَانَ وَيَكُونُ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضِرَةُ الثَّانِيَّةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ

تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ

اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ الرَّسُلَ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ إِلَّا لَصَرْفِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالنَّبِيِّ ﷺ هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ، جَاءَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَدِينِ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ التَّوْحِيدِ. (*).

أَرْسَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ دَاعِيًا إِلَى صَرْفِ الْعِبَادَةِ لَوَجْهِهِ وَحْدَهُ جَلَّ وَعَلَا.

الْقَوْمُ الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يُحِبُّونَ اللَّهَ، وَيُحِبُّونَ مَعَهُ سِوَاهُ!!

الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَالْحُبُّ مَعَ اللَّهِ شَرِكٌ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَكَانُوا يُحِبُّونَ مَعَ اللَّهِ سِوَاهُ، وَلَكِنْ كَانُوا يُحِبُّونَ اللَّهَ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ مَعَ اللَّهِ سِوَاهُ، وَإِنَّمَا يُحِبُّونَ فِيهِ أَوْلَاهُ.

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةِ: «بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ» - الْجُمُعَةَ ٢٣ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٢ هـ / ٢١ -

هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ كَانَتْ لَهُمْ عِبَادَاتٌ: كَانُوا يَحْجُونَ، وَيَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: «أَنَّهُمْ كَانُوا يُلْبُونَ، يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ؛ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، مَلَكَتَهُ وَمَا مَلَكَ».

فَكَانُوا يُلْبُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيُشْرِكُونَ فِي التَّلْبِيَةِ.

هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ جَاءَهُمُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَدَعَاهُمْ إِلَى صَرْفِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، فَفَهِمُوا مُرَادَهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَرَبًا خُلَصًا، وَالْعَرَبِيَّةُ كَانَتْ سَلِيْقَتَهُمْ؛ فَفَهِمُوا مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

فَقَالُوا: «أَنْدَعُ آلِهَتَنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا لِعِبَادَةِ إِلَهٍ وَاحِدٍ؟!»: ﴿أَجْعَلُ الْأِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ مُعْجَبٌ﴾ [ص: ٥].

إِذَنْ؛ فَفَهِمُوا مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَنَّ مَعْنَاهَا: «لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ»، مَعْنَاهَا: «إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ».

الْيَوْمَ؛ سَلَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَنْتَصِبُونَ مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ -بَزَعْمِهِمْ-، مِنْ أَوْلِيَاكِ الزَّاعِقِينَ النَّاهِقِينَ بِكُلِّ سَبِيلٍ، وَقُلْ لَهُمْ: مَا مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟!»: وَلَنْ يُجِيبَكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَّا جَابَةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي عَرَفَهَا الْمُشْرِكُونَ الْأَوْلُونَ.

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: لَا مَأْلُوهُ -أَيُّ: لَا مَعْبُودَ- بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، عَرَفُوا ذَلِكَ لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ.. عَرَفُوهُ، وَأَنْكَرُوهُ وَرَدُّوهُ!! ﴿أَجْعَلُ الْأِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ مُعْجَبٌ﴾.

وَأَمَّا الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ الْيَوْمَ فِي الدِّينِ - فَضَلًّا عَنْ جَمَاهِيرِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَنْفَادُونَ وَرَاءَهُمْ -، هُوَ لَاءٍ لَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»!!

فَمَا قِيَمَةُ امْرِيٍّ؛ الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ يَعْرِفُونَ مِنْ حَقِيقَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ مَا لَا يَعْرِفُ؟!؟

لَأَنَّ الدِّينَ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، عَلَىٰ كَلِمَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، عَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمَلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَنَبَأَ الْأَنْبِيَاءَ.

وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتْ سُوقُ الْجِهَادِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، مِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ.

وَمِنْ أَجْلِهَا يُقِيمُ السَّاعَةَ، وَتُنصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتَتَطَايَرُ الصُّحُفُ، فَأَخِذْ بِيَمِينِهِ مِنْ أَمَامٍ، وَأَخِذْ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كُلُّ هَذَا لِأَجْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أَي: إِلَّا لِيُوحِّدُونِي، وَهُوَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أَي: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ.

هَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ، مَبْنِيٌّ عَلَىٰ إِخْلَاصٍ فِي التَّالِّهِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا: مِنْ الْمَحَبَّةِ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ؛ يَنْبِنِي عَلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، فَتُصْرَفُ كُلُّهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يُجْعَلُ فِيهَا شَيْءٌ لِعَیْرِهِ: لَا لِمَلِكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ؛ فَضَلًّا عَنْ غَیْرِهِمَا.

هَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ الَّذِي تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَاكَ نَعْبُدُ وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾
 [الفاتحة: ٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾
 [هود: ١٢٣].

هَذَا التَّوْحِيدُ -يَعْنِي: تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ، يَعْنِي: تَوْحِيدَ الْعِبَادَةِ-، هُوَ أَوَّلُ
 الدِّينِ وَآخِرُهُ، وَبَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ وَآخِرُهَا.
 وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ: الْمَأْلُوهُ الْمَعْبُودُ بِالْمَحَبَّةِ
 وَالْحَشْيَةِ، وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.
 وَلَا جُلَّ هَذَا التَّوْحِيدِ خَلِقَتِ الْخَلِيقَةَ، وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنزِلَتِ الْكُتُبُ،
 وَبِهِ افْتَرَقَ النَّاسُ إِلَى مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارٍ، وَسُعْدَاءَ أَهْلِ جَنَّةٍ، وَأَشْقِيَاءَ أَهْلِ نَارٍ.
 قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

هَذَا أَوَّلُ أَمْرٍ فِي الْقُرْآنِ.
 أَوَّلُ أَمْرٍ فِي الْقُرْآنِ: هُوَ الْأَمْرُ بِهَذَا التَّوْحِيدِ الْعَظِيمِ: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.
 ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾: هَذَا أَوَّلُ أَمْرٍ فِي الْقُرْآنِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضِرَةُ الثَّانِيَّةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ
 ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥ هـ / ١٩-٧-٢٠١٤ م.

أَوَّلُ دَعْوَةِ الْمُرْسَلِينَ: الدَّعْوَةُ إِلَى تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ

هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ، مَبْنَاهُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ الْأَصِيلِ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ أَجْمَعِينَ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْعَامُّ، أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ. (*)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

ط أَفَلَا تَنْقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

فَهَذَا دَعْوَةُ أَوَّلِ رَسُولٍ بَعْدَ حُدُوثِ الشِّرْكِ.

وَقَالَ هُوَذَا لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وَقَالَ صَالِحٌ لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وَقَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لِقَوْمِهِ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ» - الْجُمُعَةَ ٢٣ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٢هـ / ٢١ -

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَقَالَ هِرْقُلٌ لِأَبِي سُفْيَانَ - لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ -: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(١).

وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ لَمَّا يَزِلُّ عَلَى شَرِكِهِ بَعْدُ - لَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ -، فَهَذَا كَانَ فِي فِتْرَةِ الْمُوَادَعَةِ بَيْنَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَفَتْحِ مَكَّةَ.

هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ دَعْوَةَ الْمُرْسَلِينَ إِنَّمَا هِيَ: «دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ».

(١) هذا اللفظ تفرد به البخاري في «الصحیح»: ٣٢ / ١، رقم (٧)، من حديث: ابن عباسٍ

رضي الله عنه، وتمام اللفظ: «...، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاةِ».

وفي رواية للبخاري: ١١٠ / ٦، رقم (٢٩٤٠): «يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَبَيْنَهُنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَادِّاءِ الْأَمَانَةِ».

والحديث أخرجه البخاري أيضا: ٢١٤ / ٨ و ٢١٥، رقم (٤٥٥٣)، ومسلم في

«الصحیح»: ١٣٩٣ - ١٣٩٦، رقم (١٧٧٣)، بلفظ: أَنَّ هِرْقَلَ قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ: بِمَ

يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: «يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالْعَفَافِ»، قَالَ: إِنَّ يَكُ مَا تَقُولُ

فِيهِ حَقًّا، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ،... الحديث.

وَكَانَ هَذَا وَاضِحًا عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ الْمَدْعُوِينَ إِلَى دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَفَهِمُوا الدَّعْوَةَ.

الْيَوْمَ الدَّعَاةُ إِلَى دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَفْهَمُ الْمَدْعُوُونَ مِنْهُمْ مَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ؛ يَهُومُونَ بِهِمْ فِي أَوْدِيَةِ سَحِيقَةٍ، وَفِي ضَلَالَاتٍ عَمِيقَةٍ، وَلَا يَفْهَمُ الْمَدْعُوُ إِلَّا مَا يَدْعُوهُ الدَّاعِي!!

أَوَّلُ شَيْءٍ: دَعْوَةُ إِلَى إِفْرَادِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ - هَذِهِ دَعْوَةُ الرَّسُولِ -، فَلَمْ يَبْدُؤُوا أَقْوَامَهُمْ بِشَيْءٍ أَوْلَ مِنْ هَذَا: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

لَا بُدَّ مِنْ صَرْفِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، هَذِهِ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ فَهَمَهَا الْمُشْرِكُونَ، كَانَتْ وَاضِحَةً مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، مُنْذُ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهَمُوا مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.

وَهَذَا دَلِيلٌ؛ لِأَنَّ أَبَا سُفْيَانَ كَانَ لَمَّا يَزُلْ عَلَى شِرْكِهِ لَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ هِرْقَلٍ، فَسَأَلَهُ: «إِلَّا مَا يَدْعُوكُمْ صَاحِبُكُمْ؟».

فَقَالَ: يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ».

وَبِذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(١): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَرْسَلَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ؛ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٣ / ٣٢٢، رَقْم (١٤٥٨) وَ ١٣ / ٣٤٧، رَقْم (٧٣٧٢)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ١ / ٥١، رَقْم (١٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى».

هَذَا التَّوْحِيدُ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَيْكَ، وَآخِرُ وَاجِبٍ عَلَيْكَ، وَهُوَ وَاجِبٌ عَلَيْكَ
فِيمَا بَيْنَهُمَا.

أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ الْعَبْدُ الْإِسْلَامَ هُوَ هَذَا التَّوْحِيدُ، وَآخِرُ مَا يَخْرُجُ بِهِ مِنَ
الدُّنْيَا؛ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١). كَمَا فِي
الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٢).



رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَيَّ قَوْمَ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ
أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [وَفِي رِوَايَةٍ: فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ
تَعَالَى]...» الْحَدِيثُ.

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»: ٣ / ١٩٠، رَقْم (٣١١٦)، مِنْ حَدِيثِ: مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثُ حَسَنُهُ الْأَبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ»: ٣ / ١٤٩، رَقْم (٦٨٧).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ١ / ٧٥، رَقْم (٢٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ١ / ٥٣،
رَقْم (٢٢)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الْقُرْآنُ كُلُّهُ دَاعٍ إِلَى تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ

عِبَادَ اللَّهِ! لَقَدْ أَفْصَحَ الْقُرْآنُ عَنْ هَذَا النَّوعِ كُلِّ الْإِفْصَاحِ، وَأَبْدَأَ فِيهِ وَأَعَادَ، وَضَرَبَ لِذَلِكَ الْأَمْثَالَ؛ بَحِيثٌ إِنَّ كُلَّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فِيهَا الدَّلَالَةُ عَلَى هَذَا التَّوْحِيدِ.

يُسَمَّى هَذَا النَّوعُ: «تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ»؛ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَالتَّائِهٍ، وَأَشَدُّ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ وَوَحْدَهُ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ. وَيُسَمَّى بِـ «تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ» لِذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ

الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١١-١٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٤-

١٥].. إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُّوهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٢٣٨]، إِلَى

قَوْلِهِ: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤].

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٤].. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ قُلْ أَغْوَى اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

فَكُلُّ هَذِهِ السُّورِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الدُّعَاءِ إِلَى هَذَا التَّوْحِيدِ وَالْأَمْرِ بِهِ، وَالْجَوَابِ عَنِ الشُّبُهَاتِ وَالْمُعَارَضَاتِ، وَذَكَرَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَمَا أَعَدَّ لِمَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

وَكُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؛ بَلْ كُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ دَاعِيَةٌ إِلَى هَذَا التَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، مُتَضَمِّنَةٌ لَهُ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ إِمَّا خَبَّرَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ - وَهُوَ تَوْحِيدُ الرَّبُّوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ -؛ فَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِهَذَا، مُتَضَمِّنٌ لَهُ.

وَإِمَّا دُعَاءٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلَعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، أَوْ أَمْرٌ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَنَهْيٌ عَنِ مُخَالَفَاتِ؛ فَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ مُسْتَلْزِمٌ لِلنَّوْعَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مُتَضَمِّنٌ لَهُمَا أَيْضًا.

وَإِمَّا خَبَّرَ عَنِ إِكْرَامِهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ؛ فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ.

وَأَمَّا خَبْرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَحُلُّ بِهِمْ فِي الْعُقَبِ مِنَ الْوَبَالِ؛ فَهُوَ جَزَاءٌ مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ.

وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ حَقِيقَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ^(١).

فَأَخْبَرَ أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ مَبْنِيٌّ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ - وَهِيَ الْأَعْمَالُ -، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ: عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَالْإِحْلَاصِ فِي ذَلِكَ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ١ / ٤٩، رقم (٨)، ومسلم في «الصحیح»: ١ / ٤٥،

رقم (١٦)، من حديث: ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّى
الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ
مُتَلَازِمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ يَجِبُ إِخْلَاصُهَا لِلَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ
أَشْرَكَ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي شَيْءٍ؛ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ.

وَمِنْ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ: الْمَحَبَّةُ: مَنْ أَشْرَكَ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي
الْمَحَبَّةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ مِنْهَا مَا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ،
وَمِنْهَا مَا يَصْلُحُ لِغَيْرِ اللَّهِ.

أَمَّا «الْمَحَبَّةُ الشَّرْعِيَّةُ»؛ فَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ.

وَأَمَّا «الْمَحَبَّةُ الْجَبَلِيَّةُ الْفِطْرِيَّةُ»؛ فَإِنَّهَا تَكُونُ لِغَيْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَيْضًا؛
بِمَعْنَى: أَنَّ الْإِنْسَانَ يُحِبُّ أَبَاهُ، وَيُحِبُّ ابْنَهُ، وَيُحِبُّ أَهْلَهُ، وَيُحِبُّ مَالَهُ وَدَارَهُ
وَوَطَنَهُ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْمَحَابِّ.

فَهَذِهِ الْمَحَابُّ مِنَ الْمَحَابِّ الْفِطْرِيَّةِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُنَازِعُ الْخَلْقَ فِيهَا، وَلَكِنْ بِشَرَطٍ: أَلَّا تَتَقَدَّمَ هَذِهِ الْمَحَابُّ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

إِذَنْ؛ فَالنِّزَاعُ لَيْسَ فِي (الْحَبِيَّةِ)، وَإِنَّمَا النِّزَاعُ فِي (الْأَحْبِيَّةِ)، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُنْكِرُ عَلَيْكَ أَنْ تُحِبَّ أَبَاكَ، وَأَنْ تُحِبَّ أُمَّرَأَتَكَ، وَوَلَدَكَ، وَأَخَاكَ وَأُخْتَكَ، وَأَنْ تُحِبَّ أَرْضَكَ وَدِيَارَكَ وَمَالَكَ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا كُلُّهُ لَا نِزَاعَ فِيهِ؛ بَلْ إِنَّ مِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ مَغْرُوسٌ فِي الْفِطْرَةِ، جَعَلَهُ اللَّهُ جِبَلَةً فِي الْخَلْقِ، فَهَذَا لَا نِزَاعَ فِيهِ.

النِّزَاعُ فِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَحْبُوبُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ اللَّهِ، أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَا يُسَلِّمُ لَكَ.

إِذَنْ؛ فَالنِّزَاعُ فِي الْأَحْبِيَّةِ، لَا فِي الْحَبِيَّةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخِذُّ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.. إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

* التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَصْحِيحُ أَخْطَاءِ شَائِعَةٍ!!

مِنَ الْعِبَادَاتِ: التَّوَكَّلُ: فَلَا يَتَوَكَّلْ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

التَّوَكَّلْ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْغَيْرُ: شِرْكٌ أَصْغَرُ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَلَّا يَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ.

التَّوَكُّلَ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ فَاشٍ؛ بَلْ إِنَّكَ لَتَسْمَعُهُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، فَتَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْجَهْلَةِ يَقُولُ لَكَ: «أَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَيْكَ وَعَلَى اللَّهِ!!»؛ فَيُثِبْتُ لَكَ تَوَكُّلاً يُقَدِّمُهُ عَلَيَّ تَوَكُّلِهِ عَلَيَّ رَبِّهِ!!

وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ تَنْدِيدًا -أَي: إِثْبَاتَ نِدِّ اللَّهِ- أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ»؛ فَجَعَلَهُ تَنْدِيدًا؛ فَقَالَ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟» (١).

فَإِذَا قُلْتَ: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ»؛ فَهَذَا تَنْدِيدٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا كَذَلِكَ؛ فَكَيْفَ بِالتَّوَكُّلِ!!؟

وَكَيْفَ بِتَقْدِيمِ تَوَكُّلِ الْعَبْدِ عَلَى الْعَبْدِ عَلَى تَوَكُّلِهِ عَلَيَّ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا!!؟
الْأَمْرُ كَبِيرٌ؛ بَلْ كَبِيرٌ جَدًّا؛ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ؛ مَنْ لَقِيَ رَبَّهُ مُشْرِكًا عَذَبَهُ بِالنَّارِ، وَأَبَدَهُ فِيهَا؛ فَلَا خُرُوجَ لَهُ مِنْهَا أَبَدًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ الْعَقِيدَةِ.. فِي مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ؛ خَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا النَّوعِ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ، عَلَيْهِ أَنْ يُحَرِّرَهُ.

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: ٢١٤ / ١، والبخاري في «الأدب المفرد»: ص ٢٠٤، رقم

(٧٨٣)، والطبراني في «المعجم الكبير»: ٢٤٤ / ١٢، من حديث: ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرجه أيضا ابن ماجه في «السنن»: ١ / ٦٨٤، رقم (٢١١٧)، بلفظ: «إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتُ».

والحديث حسن إسناده الألباني في «الصحيحه»: ١ / ٢٦٦، رقم (١٣٩) و ٨٥ / ٣، رقم (١٠٩٣).

تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ؛ يَنْبَغِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً تَحْقِيقِيًّا، وَأَنْ يَعْتَقِدَهُ، وَأَنْ يُحَوِّلَهُ إِلَى وَاقِعٍ يَعِيشُهُ؛ وَإِلَّا تَوَرَّطَ فِي الشَّرْكِ تَوَرُّطًا -عِيَادًا بِاللَّهِ وَلِيَاذًا بِجَنَابِهِ الرَّحِيمِ-.

* مِنَ الْعِبَادَاتِ -أَيْضًا- الْخَوْفُ: (*)

* وَالْخَوْفُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ:

* النَّوْعُ الْأَوَّلُ: خَوْفٌ طَبْعِيٌّ غَرِيزِيٌّ: كَخَوْفِ الْإِنْسَانِ مِنَ السَّبْعِ، وَخَوْفِ الْإِنْسَانِ مِنَ النَّارِ وَالْعَرَقِ؛ هَذَا لَا يُلَامُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ.

الْخَوْفُ الطَّبْعِيُّ الَّذِي هُوَ مَرْكُوزٌ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَفِي الْجِبَلَةِ الْبَشَرِيَّةِ، هَذَا لَا يُلَامُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-:

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨].

لَكِنْ إِذَا كَانَ هَذَا الْخَوْفُ سَبَبًا لِتَرْكِ وَاجِبٍ، أَوْ فِعْلٍ مُحَرَّمٍ؛ كَانَ حَرَامًا.

* النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَوْفِ: خَوْفُ الْعِبَادَةِ: أَنْ يَخَافَ أَحَدًا يَتَعَبَّدُ بِالْخَوْفِ لَهُ، أَنْ يَخَافَهُ خَوْفَ عِبَادَةٍ، وَيَتَعَبَّدُ بِالْخَوْفِ لَهُ؛ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ، وَصَرَفُهُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ أَكْبَرٌ.

* الثَّلَاثُ: خَوْفُ السَّرِّ: (*) (٢/)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَّةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ

٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ / ١٩-٧-٢٠١٤م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى «شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» - الْمُحَاضَرَةُ

الْخَامِسَةُ - السَّبْتُ ٩ مِنْ صَفَرِ ١٤٢٩هـ / ١٦-٢-٢٠٠٨م.

فَلَا يُخَافُ خَوْفَ السَّرِّ إِلَّا مِنَ اللَّهِ.

وَمَعْنَى خَوْفِ السَّرِّ: أَنْ يَخَافَ الْعَبْدُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ - وَإِنْ لَمْ يُبَاشِرْهُ -، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرٌ؛ لِأَنَّهُ اعْتِقَادٌ لِلنَّفْعِ وَالضَّرِّ فِي غَيْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

هَلْ هَذَا وَاقِعٌ؟!!

وَاقِعٌ بِكَثْرَةٍ!!

بَعْضُ النَّاسِ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يَدَّعِيهِمْ أَوْلِيَاءَ، أَوْ يَعْتَقِدُ فِيهِمْ الْوَلَايَةَ، أَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِالْكَشْفِ - بِمَعْنَى أَنَّهُ يَعْرِفُ السَّرَّ وَمَا أَخْفَى الْعَبْدُ فِي ضَمِيرِهِ، أَوْ مَا فَعَلَهُ بِحَيْثُ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ -.

فَيَقَعُ هَذَا فِي الْمَعْصِيَةِ، يَقَعُ فِي الْمَعْصِيَةِ بَعَيْنِ رَبِّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ وَلَا يَخَافُ، فَإِذَا خَرَجَ وَوَجَدَ مَنْ يَعْتَقِدُ فِيهِ الْكَشْفَ؛ خَافَهُ خَوْفَ السَّرِّ، وَخَشِيَ أَنْ يَفْضَحَهُ، فَإِذَا رَأَهُ مِنْ بَعِيدٍ؛ حَادَ عَنِ الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّهُ يَطَّلِعُ عَلَى سِرِّهِ - بِزَعْمِهِ -، وَسَيَخَاطِبُهُ بِهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَحِيدُ عَنِ طَرِيقِهِ!!

هَذَا خَوْفُ السَّرِّ: أَنْ يَخَافَ الْعَبْدُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ - وَإِنْ لَمْ يُبَاشِرْهُ -؛ لِأَنَّهُ اعْتِقَادٌ لِلنَّفْعِ وَالضَّرِّ فِي غَيْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، مَعَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿فَاتَّبِعْنِي فَاذْهَبُونَ﴾ [النحل: ٥١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

* وَمِنَ الْعِبَادَاتِ: الرَّجَاءُ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ؛ كَمَنْ يَدْعُو الْأَمْوَاتَ أَوْ غَيْرَهُمْ، رَاجِيًا حُصُولَ مَطْلُوبِهِ مِنْ جِهَتِهِمْ، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرٌ.

وَمَعْنَى أَنَّهُ شِرْكٌ أَكْبَرٌ: أَنَّهُ مُخْرَجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وَمِنَ الْعِبَادَاتِ: الصَّلَاةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالسُّجُودُ، وَالرُّكُوعُ.
وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ؛ سَوَاءً كَانَ طَلِبًا لِلشَّفَاعَةِ، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْمَطَالِبِ.

* وَمِنْهَا: الذَّبْحُ، وَمِنْهَا: النَّذْرُ.

* وَمِنْهَا: الطَّوَافُ؛ فَلَا يُطَافُ إِلَّا بِبَيْتِ اللَّهِ.

وَمِنْهَا: التَّوْبَةُ؛ فَلَا يُتَابُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ.

بَعْضُهُمْ يُتَوَبُّونَهُ لِعَيْرِ اللَّهِ، فَيَأْخُذُونَهُ عِنْدَ الضَّرِيحِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْلِقُوا لَهُ شَعْرَهُ؛ فَيَتُوبُ إِلَى الشَّيْخِ.. يَتُوبُ إِلَى الْوَلِيِّ!!
وَالتَّوْبَةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِلَّهِ وَحْدَهُ!

مِنَ الْعِبَادَاتِ: الْإِسْتِعَاذَةُ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، وَالْإِسْتِغَاثَةُ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ.

فَمَنْ أَشْرَكَ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ مَخْلُوقٍ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْخَالِقِ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ أَوْ غَيْرِهَا؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ.

وَهَذِهِ الْعِبَادَاتُ إِنَّمَا تُذَكَّرُ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ عِبَادِ الْقُبُورِ صَرَفُوهَا لِلْأَمْوَاتِ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ أَشْرَكُوا بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَهُمْ فِيهَا؛ وَإِلَّا فَكُلُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.. مَنْ صَرَفَهُ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ شَرِكَ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِيهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

و﴿شَيْئًا﴾: نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّهْيِ؛ فَتَفِيدُ الْعُمُومَ.

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

هَذَا الشِّرْكَ فِي الْعِبَادَةِ هُوَ الَّذِي كَفَرَ اللَّهُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَبَاحَ بِهِ دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَنِسَاءَهُمْ؛ وَإِلَّا فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ، الرَّازِقُ، الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ؛ وَإِنَّمَا كَانُوا يُشْرِكُونَ بِهِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَاتِ وَنَحْوِهَا. أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَمَضْمُونُهُ: أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ.. لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ فَضَلًّا عَنْ غَيْرِهِمْ.

قَالُوا: ﴿أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ الْهَآوِحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُعْجَبٌ﴾ [ص: ٥].

كَانُوا يَجْعَلُونَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا لِلَّهِ، وَيَجْعَلُونَ لِلْإِلَهَةِ مِثْلَ ذَلِكَ؛ فَإِذَا صَارَ شَيْءٌ مِنَ الَّذِي لِلَّهِ إِلَى الَّذِي لِلْإِلَهَةِ؛ تَرَكُوهُ لِلْإِلَهَةِ، وَقَالُوا: اللَّهُ غَنِيِّ!! وَإِذَا صَارَ شَيْءٌ مِنَ الَّذِي لِلْإِلَهَةِ إِلَى الَّذِي لِلَّهِ تَعَالَى رَدُّوهُ، وَقَالُوا: اللَّهُ غَنِيٌّ، وَالْإِلَهَةُ فَقِيرَةٌ؛ فَانزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجْعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ..﴾ [الأنعام: ١٣٦].

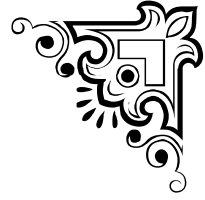
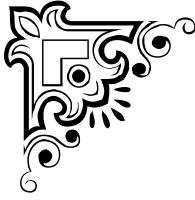
هَذَا بَعَيْنِهِ مَا يَفْعَلُهُ عِبَادُ الْقُبُورِ؛ بَلْ يَزِيدُونَ عَلَيَّ ذَلِكَ، فَيَجْعَلُونَ لِلْأَمْوَاتِ
نَصِيبًا مِنَ الْأَوْلَادِ!!

أَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمُتَسَنِّينَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِنَ
الْمُوحِّدِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضِرَةُ الثَّانِيَّةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ



الفهرس

- ٢ * الخُطْبَةُ الْأُولَى
- ٦ مَعْنَى الْعِبَادَةِ
- ٨ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ
- ١٢ أَوَّلُ دَعْوَةِ الْمُرْسَلِينَ: الدَّعْوَةُ إِلَى تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ
- ١٦ الْقُرْآنُ كُلُّهُ دَاعٍ إِلَى تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ
- ١٩ * الخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ
- ١٩ بَعْضُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ
- ٢٠ * التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَصْحِيحُ أَخْطَاءِ شَائِعَةٍ!!
- ٢٧ الفهرس

